

﴿ وَلَا تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

[سورة هود/ الآية ١١٣]

الاستبداد

مُظَاهِرَةٌ وَهُوَ اجْتِهَادٌ

واحد ثبت صنابع
بمؤلفه مطبوع في دار
الكتاب في بيروت
شماره: ٢٥٢٢٠١
تاريخه: ١٥ / ٤ / ١٣٩٢

تأليف

سماعة الشيخ العلامة

أحمد بن محمد الحليبي

المفتي العام لسلطنة عُمان

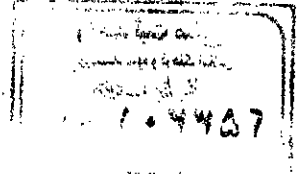
١٤٢٤ هـ / ٢٠١٢ م

شكر وعرفان

إن (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) فالشكر لمن أسدى يداً واجب شرعي وأخلاقي وعليه فإنني ألهج بشكر كل من شارك بخدمة أو ملاحظة من أجل إنجاز مشروع تأليف هذا الكتاب سواء عرفته أو لم أعرفه وأخص من بين هؤلاء بكل شكر وتقدير شيخنا العالم الرباني حمود بن حميد الصوافي - حفظه الله تعالى ورعاه - الذي تكرم مشكوراً بمراجعة هذا الكتاب من أوله إلى آخره وأهداني من الملاحظات السديدة ما زاده بهاء ونورا، وكذلك أخونا الفاضل الشيخ الأديب اللبيب أحمد بن سعود السيابي الذي تكرم بقراءة الكتاب كله، ووضع عليه بصماته بما أبداه من الملاحظات، وإليه يرجع الفضل في تسميته بعد توفيق الله تعالى، كما أشكر من قام بطبعه إبان إملائه من أول حرف منه إلى آخر حرف وهو الابن العزيز الشاب الموهوب أحمد بن حمد بن راشد الذهلي الذي لم يقتصر دوره على الطباعة فحسب وإنما كان لي عيناً ويداً فقد كان - بخبرته الواسعة في المجال الإلكتروني - رائداً لي في اكتشاف كثير من الفوائد العلمية من المراجع المختزنة في المكتبات الإلكترونية كما كان عوناً لي في تخريج الأحاديث من مراجعها.

وأشكر كذلك الشيخ الدكتور الدراكة الولد العزيز سلطان بن محمد الحراصي الذي قام بمراجعة الكتاب والتنبيه على كثير من الملاحظات القيمة، والشكر كذلك موصول للابن العزيز الباحث الموهوب سلطان بن مبارك الشيباني على قيامه بمراجعة الكتاب والتصحيح لكثير من أخطائه المطبعية والتنبيه على كثير من القضايا المهمة.

وأخيراً وليس آخراً أشكر جميع أبنائي البررة الذين أعانوني - بجهدهم وخدمتهم - على إنجاز هذا المشروع ولم يألوا جهداً في تنبيهي على ما كنت غافلاً عنه وأخص بالذكر، من بينهم بعد عمومهم ابني سليمان الذي هيا لي المكان المناسب للقيام بهذا العمل وفتح لي مكتبته وأتاح لي إنجاز المشروع في جو هادئ لطيف، كما أهداني من بنات فكره ما كان لي مدداً في هذا العمل المبارك، وكذلك ابني أفلح الذي ثما فتى من أول خطوة في هذا العمل جاهداً في تذليل الصعاب للوصول إلى منتهاه،



الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

فقد أدنى لي المراجع البعيدة وفتح لي الأبواب المغلقة وذلّل لي المسائل المستعصية بثاقب فكره وعمق درايته إلى آخر خطوة في هذا القصد.

فجزى الله الجميع خيرا ووفقني وإياهم لما يحبه ويرضاه .

وبعد إنجاز المشروع امتدت يد كريمة سخية لنشره فقد أبت همة وسماحة سليل الأجداد ذي المحتد الأصيل والشرف الباذخ الشيخ سعود بن علي الخليلي إلا أن يكون وحده القائم على طبعه ونشره من حر ماله فجزاه الله خيرا ووفقه للمسارة إلى البر والمنافسة في كل خير .

والله ولي التوفيق

المؤلف

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الجور والطغيان، سبحانه أنزل كتابه بالحق ليقوم الناس بالقسط، وأرسل رسوله ليرسم منهاج العدل، وليحدد موازين البر ومعايير الإحسان، ﴿لَيْهَلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَتِهِ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّاهُ عَنْ بَيْنَتِهِ﴾ [الأنفال: ٤٢] وأشهد أن لا إله إلا الله هو مالك الملك، يُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ بِعِزَّتِهِ، وَيُذَلُّ مَنْ يَشَاءُ بِقُوَّتِهِ، وأشهد أن سيدنا ونبينا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين، أفضل من حكم فعدل، وأصدق من قال فبرّ، وأوفى من وعد فأنجز، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه البررة الأخيار، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم وضع الموازين القسط.

أما بعد؛ فقد شهدت الساحة العربية في العامين الأخيرين أحداثا هياها القدر وساقها المقدور، حتى بلغت مداها، فتزعزعت عروش، وانهدت صروح، وتساقت أنظمة، وتمزّعت في الرغام أنوف طالما شمخت بكبرياتها وتعالّت في شممها، وتحطمت رؤوس ما كانت تحسب أن صروف الدهر ستدور عليها، أو أن عوادي الزمن ستمتد يدها إليها، وقامت من تحت الأنقاض شعوبٌ كم ديبست بمناسم الجور، وكبست بوطاة الظلم، فانطلقت كأنها حلت من عقابها مستهدفة ظالمها تطلب الإثثار عن سقاها كؤوس الذل وجرعها غصص الهوان.

وما من شك في كون العدل المنشود والحق المبتغى مطلبا فطريا للنفس البشرية، فإن الله خلقها حرة، وكرمها بما جللها به من سوانح الإحسان، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وما أعظم كلمة

الفاروق ﷺ التي حفظها الدهر ورواها، وسجلها الزمن ووعاها: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»^(١).

نعم؛ قالها الفاروق من أعماق قلبه، لأنه كان مؤمناً بفحواها، إذ وعى ما أنزل الله على نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وتدرج في أطوار التربية النفسية بمدرسة النبوة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، حتى كان في الرعيل الأول ممن وعوا معارفها واستقوا علومها، فحرص مع إخوانه الخلفاء الراشدين على تطبيق محتواها، فكانت خلافتهم عدلاً وإحساناً، وتعم الإنسان في ظلها الوارف الظليل بالحرية والكرامة والأمن والاستقرار، وكان في مآمن أن تمتد إليه يد فتسلبه حقاً من حقوقه التي منحه الله إياها، أو أن يلفحه هجير من العسف والظلم.

ولكن ليت شعري؛ هل ظلت الأمة تتمتع بهذه الحقوق كاملة غير منقوصة كما كانت في أيام الخلافة الراشدة، أو أنها ابتزت منها حقوقها هذه بعدما انطوت تلك الحقبة الزاهرة، ونشبت فيها مخالب الجور وأنيابه، ومهدت الطريق لبطش الجبابرة المستكبرين وقهر الظلمة المستبدين بتذليل الرقاب وطأطة الرؤوس للظالم، «وإن ضَرَبَ ظهرك وأخذ مالك»!!!

إن كُلَّ مَنْ يقلب صفحات التاريخ بتدبر وإمعان يدرك أن المعايير انقلبت رأساً على عقب بعد انطواء حقبة الخلافة الراشدة، وتحول الحكم في الإسلام إلى نظام كسروي قيصري يستلهم من عسف الفراعنة وجور الأكاسرة وبتطش القياصرة نهجه الذي يسير عليه، فكابدت الأمة من الظلم والعسف ما كابدته الأمم الغابرة التي عاشت تحت نير الظالمين وبتطش المستبدين، وقد مالاً الفقهاء الرسميون أولئك الظلمة وساندوهم على بطشهم وظلمهم، ووطأوا لهم الأكناف وهياؤوا النفوس لتقبل هذا الوضع والرضوخ له والرضى عنه، وأصدروا الفتاوى التي تصمُّ كُلَّ مَنْ أنكر هذا الوضع

ولم يتقبله بالمرق والفتنة، وعززوا ذلك بروايات اختلفوها أو تأولوها وفق هواهم وأشاعوها بين الدهماء حتى صخت منها الأسماع وعميت بها البصائر والأبصار.

وظل هذا الفكر - بما فيه من الزيغ - هو الذي يسود العقول ويهيمن على السواد الأعظم من الناس، وتتوارثه الأمة أباً عن جد جيلاً بعد جيل، وصيغَ وَفَقَّ الفقه السياسي حتى لم يعد لسواه قبول، بحيث لو أراد أحدٌ أن يعيد فيه النظر لكان عرضة لسهام التضليل والتبديع من غير مرحة.

أفتعجبُ بعد هذا أن تسمع عندما هبَّت رياح ما عُرِفَ بـ «الربيع العربي» فتاوى تدين الذين يريدون أن يتحرروا من ربة الظلم ويتخلصوا من بطش الظالمين، ومُحَرَّمٌ حتى مجرد الاحتجاج السلمي للمطالبة برفع الظلم، وتفرض عليهم أن يطأطئوا رؤسهم للظلم ويحنوا ظهورهم للظالمين، ويستكينوا للبطش ويستمرثوا الجور، ويتقربوا إلى الله تعالى بطاعة الجائرين والذل للمستبدين، فإن هذا هو الذي فرضته العقيدة التي فرضت على الأمة فتوارثتها قرناً بعد قرن منذ انطوى الحكم الراشدي، ونشأ في الأمة حكم جاهلي يستمد شرعيته من النظام الكسروي القيصري وإن كان ينتسب زوراً إلى الإسلام ويتزى بلبوسه ويتحلّى بحليته، ويدعم وجوده باسمه ويقاوم كل من تصدى له بشعاره، فكان بخبثه ودهائه يجارب الإسلام بسيف الإسلام ويتوقى سيوف أبناء الإسلام بمجنه ودروعه.

وهذا أيضاً ما فرضه الفقه السياسي الذي صيغ بعقول نشأت في هذا المحيط الذي يسوده الظلم والاستبداد تحت شعار الإسلام، وتغذت بفكره وتوجهت بإرادته، فكانت لأولي الهيمنة القابضين على أزمته أتبع من الظل وأخنع من النعل.

وإذا كانت هذه الفتاوى عورضت بفتاوى أخرى فندتها وبينت للناس منافاتها لروح الإسلام الحق، الذي جاء ليرفع عن الإنسانية وطأة الظلم وهيمنة الظالمين، فإنها أوهن حجتها وأخفت صوتها عدم قدرة أصحابها على التحرر من عقدة الماضي والتعلق به والدفاع عن الذين حملوا فيه لواء الظلم وسنوه في هذه الأمة، فكانوا أسوة لكل ظالم يأتي من بعدهم إلى قيام الساعة، فإن

(١) ينظر: فتوح مصر وأخبارها، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت: ٢٥٧هـ/ ٨٧١م)، ج ١ ص ٢٩٠، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد الحجري، وينظر: ربيع الأبرار، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت: ٥٣٨هـ)، ج ١ ص ٢٨٩.

القسم الأول مظاهر الاستبداد

انتشار الظلم في الأمم وقبول الناس له:

إن التأمل في أحوال الأمم يجد أن انتشار الظلم فيها ورضوخها له كان نتيجة زيغ العقول وانحراف الأفكار عن الفطرة وانقلاب الموازين في تلك الأمم، بحيث ترى القبيح حسنا والحسن قبيحا والجور عدلا والعدل جورا، حتى تستمرئ جماهير الناس الذل وتستعذب الهوان وتتقبل كل ما تلقاه من بطش وتعانيه من حرمان، فلا تفكر في حق تطالب به أو حرية تتمتع بها في الحياة، لأنها رضية لنفسها حياة العبودية، فلا تزال مستخدية للظالم تتقرب إليه بكل ما يريده منها.

إذ الحق في موازينها إنما هو للسلطة الظالمة، وما للشعوب إلا أن تستكين وتذل وتنقاد عن طواعية لرغبات الظالمين ونزوات المتكبرين، وترضى أن يتحكم الجبابرة في أرواحهم وأجسادهم وأموالهم وأعراضهم، لأن لهم الأرض وما أقلت والسماء وما أظلت! وليست إرادتهم إلا من إرادة الله! وحسب الإنسان أن يسمحوا له بالحياة وأن ينعموا عليه بشظف العيش! فيكفيه أن يقتات مما يتساقط في الثرى أو يساق إلى المزابل مما يفضل عن حاجاتهم المعيشية.

فمن نال ذلك فعليه أن يشكر هذه النعمة لمن سمح له بها!! ومن حرم منها فعليه أن يصبر وأن لا يلابسه حرج في نفسه من هذا الحرمان، إذ لا يعدو أن يكون كالحشبة المقطوعة من الشجرة

هؤلاء أنفسهم هم الذين تجردوا للدفاع عن الظالمين فنصبوا من أنفسهم محامين عنهم، يبررون ظلمهم ويدفعون في صدور الذين تصدوا لبطشهم، وحاولوا أن يخلصوا منهم الأمة، إذ إن أصحاب هذه الفتاوى أنفسهم هم الذين رشقوا الذين سعوا في التأريخ الغابر إلى تخليص الأمة من الظلم والبطش بسهام التهم، ونيزوهم بالألقاب، وكانوا لهم الدم كيلا، فأتت فتاواهم هذه تناقض ما بنوه من فكر وتعاكس ما ساروا عليه من خطى، فانقلبت عندهم الموازين وازدوجت المعايير.

ومن البدهيات التي لا تسوغ المهارة فيها أن النظرة إلى الحاضر لا تستقيم إلا باستقامة النظرة إلى الماضي، ووضع كل شيء منه في نصابه السليم وإعطائه حكمه الشرعي استهداء بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واتباعا لهدي رسوله ﷺ الذي ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

لذلك أردت أن تكون هذه الدراسة مؤدية لهذا الغرض وموصلة إلى هذه البغية، وإن كانت

باختصار شديد، وقد جعلتها في قسمين:

القسم الأول: مظاهر الاستبداد.

القسم الثاني: مواجهة الاستبداد.

ويشتمل كل قسم على موضوعات شتى، لكل موضوع عنوانه.

٢٣١. وحي العبقريّة، عبدالله بن علي الخليلي، ط٢، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢٣٢. وقعة صفين، نصر بن مزاحم بن سيار المقرئ الوفاة: ٢١٢هـ.

٢٣٣. يا شيعمة العالم استيقظوا، موسى الموسوي.

فهرس العناوين

٣	شكر و عرفان
٥	المقدمة
٩	القسم الأول: مظاهر الاستبداد
٩	انتشار الظلم في الأمم وقبول الناس له
١٠	تأثير القيادات الروحية على الناس بالدجل ليتقبلوا الظلم.
١٠	١- الفراعنة
١٣	٢- أباطرة الرومان
١٤	٣- أباطرة الفرس
١٥	نسف الإسلام لهذه الأفكار الخاطئة والمناهج الظالمة
٢٥	انتقال الحكم من خلافة راشدة إلى سلطة استبدادية.
٢٩	النص الصريح على أن هذه الفتنة باغية
٣٢	مجادلة بالباطل لإدحاض الحق
٤٣	مغالطة الحقيقة بسبب الخليفة الشرعي ولعنه على المنابر لتضليل عقول الناس
٥٢	استخلاف معاوية ليزيد على رغم المهاجرين والأنصار
٦٤	تحول الحكم في بني أمية من آل أبي سفيان إلى آل مروان
٦٨	نقض عمر بن عبد العزيز <small>رضي الله عنه</small> لما أسسه بنو أمية من الجور وإعادته دور الخلافة الراشدة في العدل
٧٥	مساندة فتاوى المارقين لجور الظالمين
٨١	أثر السياسة الأموية في الفقه السياسي التبريري
٨١	١- إضفاء الشرعية على السلطة المأخوذة عنوة

٢٠١	محشي "الإسعاف"	٨٦	٢- تحريم القيام عليهم لدفع ظلمهم وأخذ الحق منهم
٢٠٤	الفقيهي الحشوي	١٢٠	٣- رد الروايات ولو صحت أسانيدها عندما تتعارض مع هذه السياسة
٢٠٤	دلالة السنة النبوية على براءة النبي ﷺ من الظلمة	١٢٢	٤- إسقاط حرمان دماء الأمة في سبيل تعزيز السلطة وإبقائها
٢٠٧	ثبوت براءته ﷺ من كل من ارتكب كبيرة	١٢٦	٥- إباحة المحرمات لذوي السلطة
٢١٠	ثبوت لعن النبي ﷺ لبعض أهل الكبائر	١٣٠	القسم الثاني: مواجهة الاستبداد
٢١٢	نصوص القرآن تدل على البراءة من مرتكب الكبيرة	١٣٠	قيام الأمة على بني أمية "ثورة طالب الحق وأبي حمزة نموذجاً"
٢٢٣	أثر المدرسة التي ينتمي إليها طالب الحق وأبو حمزة في السياسة الإسلامية	١٣٢	المهد الذي ترعرعت فيه ثورة طالب الحق
٢٢٣	شهادة من المغرب (عبدالعزیز المجدوب)	١٣٦	أسباب قيام طالب الحق
٢٣١	شهادة من المشرق (الدكتور حسين غباش)	١٤٤	امتداد حركة طالب الحق إلى الحجاز
٢٣٩	نماذج حية وصور مثالية من الحرص على العدالة الاجتماعية عند أبناء هذه المدرسة	١٥٠	العناية بالطوائف
٢٣٩	١- الجلندي بن مسعود	١٥٢	مثالية أبي حمزة وأصحابه في التعامل مع أهل المدينة بقديد
٢٤٣	٢- أبو الخطاب المعافري	١٥٦	خطب أبي حمزة الشاري بالمدينة المنورة
٢٤٥	٣- الأئمة الرستميون	١٦٧	أبو حمزة وأصحابه في مواجهة أهل الشام
٢٤٥	٤- الإمام الوارث بن كعب	١٧٣	أبو حمزة الشاري (بين شهادات المنصفين وافتراءات الحاقدين)
٢٤٦	٥- غسان بن عبدالله اليعمدي	١٧٣	شهداء القسط:
٢٤٧	٦- الإمام الصلت بن مالك	١٧٣	العلامة عبدالمعز عبد الستار
٢٥٨	٧- الإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب	١٧٧	المجاهد الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
٢٥٩	٨- الإمام راشد بن سعيد اليعمدي	١٨١	المفكر الدكتور عبد العزيز المجدوب
٢٦٠	٩- الإمام عمر بن الخطاب الخروصي	١٨٦	الشيخ الوفي محمد شحاته أبو الحسن
٢٦١	١٠- الإمام ناصر بن مرشد	١٩٧	المربي البصير أ.كرامة مبارك بامؤمن
٢٦٦	١١- الإمام عزان بن قيس البوسعيدي	٢٠١	افتراءات الحاقدين:

تم بحمد الله

المصادر والمراجع
فهرس العناوين

٢٦٩

٢٧٢

٢٧٨

٢٨٨

٢٨٩

٢٩٢

٢٩٢

٢٩٣

٣٠١

٣٠٤

٣٠٦

٣١٧

٣٢١

٣٢٣

٣٢٧

٣٣٥

٣٣٦

٣٣٨

٣٤١

٣٤٥

٣٥١

١٢ - الإمام سالم بن راشد الخروصي

١٣ - الإمام محمد بن عبدالله بن سعيد الخليلي

رفض هذه المدرسة للغلو في الفكر أو السلوك

كلمة إنصاف لا بد منها

إزاحة الستار عن شبهة تاريخية: شبهة الغلو

الافتراءات المفرضة على هذه الطائفة

الشاهد الأول

الشاهد الثاني

دور علماء الإباضية في كشف طوايا الدعوة الوهابية

ثبوت تشريك الوهابية لأهل القبلة في نصوص علمائها

تطبيق الوهابية أحكام أهل الشرك على الأمة في قتلهم لها

مقارنة بين أعمال الوهابية وأعمال الإباضية

ما أشبه الليلة بالبارحة

عود على بدء

أثر الطغيان الأموي على الأمة في تصورها واضطراب معاييرها

انقلاب موازين الأمة حوّل المساويء أمجادا

العلاقة بين الترف والتلف

تحذير القرآن من الركون إلى الدنيا

رسوخ إعجاب الأمة بالمستكبرين في الأرض أنساها ما ذكره القرآن فيهم

رجال الإصلاح ينادون هذه الأمة بما يحرر تفكيرها من هذه القيود والأغلال

خاتمة الكتاب